الاضطلاع بهذه المهمة، اذ ان حقيقة الوضع هي اكثر تعقيدا وصعوبة وفذلكة. كما انه لا يجوز لنا ان نسمح لانفسنا بالوقوع في الاخطاء الناجمة عن التفكير والممارسات احادية الجانب المسيطرة على نهج هذه الجهة العربية او تلك. ولنا في مواقف بعض الانظمة العربية، على النتائج السياسية التي ترتبت عليها، خير عبرة. فهناك نظام عربي معين رأى ان في التعامل مع اسرائيل سلما خير وسيلة لتحقيق اهدافه، ولكن لم يمر وقت طويل حتى خابت آماله. وهنالك نظام آخر ما دعا يوما الا الى مجابهة اسرائيل عنوة، الا ان «انجازاته»، في نهاية الامر، لم تختلف كثيرا عن تلك التي «حققها» زملاؤه ـ مناوئوه. والعبرة من هذه الممارسات، على ما ترتب عليها من «انجازات»، هي ان الطريق السوي للتعامل مع الكيان الصهيوني، يمر في مكان ما بين السلم والحرب، طورا يقترب من ذاك وتارة يبتعد عن هذا، وفق الظروف والمتطلبات المتغيرة بين الفينة والاخرى. ان الكيان الصهيوني، بتركيبته الاساسية، كما هو معروف، معقد ومفذلك، تنساب داخله وحوله تيارات سياسية وفكرية مختلفة، تتغير مواقفها ووجهات نظرها لاعتبارات عديدة ومتنوعة. والتعامل معه، ليس عسكريا فقط بل سياسيا ايضا، اذا اريد له ان يكون مجديا لا بد ان يتم من خلال وضع كافة تلك العوامل ومسبباتها في موضعها الصحيح، والنظر اليها بشمولية قدر الامكان والتعرف على هذا الاساس، دون تحزّب او ضيق افق او محاولة العوم على شبر من الماء.

منطق السيادات السبع

لم تكن النواقص التي مر ذكرها، على اهميتها، هي النواحي الوحيدة التي قصرّ فيها العمل الفلسطيني خلال العقدين المنصرمين، فاثرت سلبا على مجمل انجازاته في نواح عديدة، بل ان هنالك نواحي اخرى لا تقل اهمية عنها، كانت ولا تزال مصدرا للمتاعب، وستبقى كذلك الى ان يوجد حل مقبول لها. ونقصد بذلك المسألة التنظيمية بكافة ابعادها.

لقد نما العمل الفلسطيني وتبلور، خلال العقدين الاخيرين، على ارضية ظروف عربية معقدة، من خلال تنظيمات فدائية مسلحة، سرعان ما اتخذ كل منها لنفسه طابعا سياسيا معينا. وخلال فترة غير قصيرة، خصوصا في بداية طريق خروجها الى العمل العلني، دخلت هذه التنظيمات، في حالات كثيرة وعديدة، في نزاعات مسلحة مع بعضها البعض، نتيجة لخلافات سياسية او لمحاولة الحصول على المغانم، ذهب ضحيتها العديد من القتلى. غير انه مع مرور الوقت، ومن خلال دروس المآسي العديدة، والمتكررة، تبلور تدريجيا اطار تنظيمي شامل، على شكل مؤسسات تضم ممثلين عن كافة تلك التنظيمات. ونقصد بذلك المجلس الوطني الفلسطيني، الذي ضم ممثلين عن التنظيمات والفعاليات الفلسطينية المختلفة، وكذلك اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي روعي عند تشكيلها، في معظم الاحوال، ضم ممثلين عن كافة تلك القوى. وعند هذا الحد ظهر كأن نظاما فلسطينيا شبه محترم قد خرج الى حيز الوجود. ونقول «شبه محترم» لانه حتى بعد ان تم ذلك، واصبحت تلك التنظيمات، باعتبارها منضوية تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية، تشكل الممثل الشرعي الوحيد، لا اكثر ولا اقل، للشعب العربي الفلسطيني وباعتراف العرب والعالم، بقيت النزاعات المسلحة تدور بينها، كما شهدت ذلك بيروت وباقي المدن اللبنانية مرات ومرات.